مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٣)، ص ص ١٥٠٩-١٥٤٢، (رجب ١٤٤٢ هـ/ فبراير ٢٠٢١)

معركة ساحة الدم ٥١٣هـ/ ١١١٩م

د. علي بن محمد النغيمشي
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، قسم التاريخ

ملخص البحث : تعدُّ معركة ساحة الدم أو سرمداء التي انتصر فيها المسلمون على الصليبيين عام ٥١٣هـ/١١١٩م من المعارك التاريخية المهمة، ذلك أنها جاءت بعد اجتياح الصليبيين للشام وتأسيس أربع إمارات صليبية هي: الرُها، وطرابلس، وبيت المقدس وأنطاكية، في وقت كانت فيه الجبهة الإسلامية تعيش أضعف حالاتها، بسبب التمزق والصراعات بين حكام المسلمين، فضعفت الهمم وخارت العزائم، وفي وسط ذلك الانهيار المادي والمعنوي، انتفض القائد نجم الدين إيلغازي صاحب حلب ليجمع كلمة المسلمين ويحقق انتصارًا كبيرًا على الجيش الصليبي بقيادة روجر صاحب أنطاكية الذي خر صريعًا في أرض المعركة، ولم ينج من جيشه إلاّ نفر قليل، ولكثرة قتلى الصليبيين سماها الأوربيون معركة ساحة الدم، والتي قلبت ميزان الحرب، وأعادت الثقة للمسلمين، وأعطتهم دروسًا في التضامن والتوحد، وكسرت حاجز الخوف الذي اصطنعه الصليبيون، فكانت مقدمة مهمة للانتصارات الإسلامية وتحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين فيما بعد.

الكلمات المفتاحية : ساحة الدم ــ سرمداء ــ الحروب الصليبية ــ نجم الدين إيلغازي ــ أنطاكية

مقدمة:

يذخر تاريخ الحروب الصليبية بالبطولات الإسلامية والمعارك التي تحتاج إلى مزيد من الكشف والدراسة، لما تحمل من دروس وعبر لأجيال الأمة الحاضرة، وتعدُّ معركة ساحة الدم أو سرمداء من المعارك التاريخية المهمة التي حقق فيها المسلمون انتصارًا كبيرًا على الصليبيين عام ٥١٣هـ/١١١٩م بقيادة نجم الدين إيلغازي أمير ماردين وحلب، في وقت كانت فيه الدولة الإسلامية تعيش أضعف حالاتها بسبب الصراعات بين الأمراء والسلاطين السلاجقة حول السلطة، فتناول هذا البحث أبعاد هذه المعركة موضحًا الظروف السياسية والعسكرية التي كانت تعيشها منطقة الشام بعامة وإمارة حلب بخاصة، وذلك قبيل معركة سرمداء، وكيف أدى ذلك الصراع إلى إضعاف الجبهة الإسلامية وطمع الصليبيين في الاستيلاء على الأراضي الإسلامية الواحدة تلو الأخرى، وكانت حلب تشكل هدفًا إستراتيجيًا للصليبيين في أنطاكية بقيادة روجر حاكمها، حيث قاد جيوشه وحاصر حلب واستولى على مراكزها وأحوازها، مستغلًا ضعف المسلمين وتفرق كلمتهم فاستغاث أهل حلب بأمراء وسلاطين الإسلام، لكن لم يستجب لهم أحد، مما اضطرهم إلى دعوة القائد نجم الدين إيلغازي لتخليصهم من الصليبيين فاستجاب إيلغازي، وجمع الجيوش الإسلامية وقادها في معركة حاسمة بتاريخ السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥١٣هـ/١١١٩ م محققًا نصرًا مؤزرًا على الجيوش الصليبية، حيث لقي روجر قائد الجيوش الصليبية مصرعه في أرض المعركة، وقتل الآلاف من الصليبيين وأُسر المئات، وغنم المسلمون ما لا يحصى من الأموال، وتغنى أهل حلب وشعراؤها بهذا النصر وفرح المسلمون بنصر الله، وأسفرت المعركة عن نتائج مهمة على الصعيدين الإسلامي والصليبي كان من أهمها قلب ميزان القوى في الصراع لصالح المسلمين، فكانت سرمداء مقدمة مهمة لانتصارات المسلمين واسترداد بيت المقدس.

الأوضاع السياسية في الدولة الإسلامية قبيل معركة سرمداء:

في الوقت الذي كانت فيه الجيوش الصليبية تجتاح الأراضي الإسلامية بالشام، كانت الدولة السلجوقية صاحبة الشأن في المنطقة تعيش أضعف حالاتها، بسبب التمزق والصراعات بين سلاطين وأمراء الدولة في عصرها الثاني، فمثلًا عقب وفاة الملك شاه[١] عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م شب النزاع بين ولديه بركيارك[٢] ومحمود[٣]، ولم يتوقف إلا بعد وفاة محمود، ولم يهنأ بركيارك بالسلطة، حيث ثار عليه عمه تتش[٤] صاحب دمشق، ودخل معه في حرب عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م انتصر فيها بركيارك وتخلص من تتش، غير أن الأمور لم تستقر لبركيارك، فقد ثار عليه أخوه محمد حاكم

(١) الملك شاه (٤٦٥-٤٨٥هـ / ١٠٥٥-١٠٩٢م)، هو أبو الفتح ملك شاه بن أرسلان السلجوقي تولى الحكم بعد وفاة والده وأوصى الوزير نظام الملك عليه، ينظر: ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، المكتبة التوقيفية ١٤٣٦، ج٩، ص٨٧؛ وينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق محمد محيي الدين، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٩م، ج٤ ص ١٨.

(٢) أبو المظفر ركن الدنيا والدين بركيارك ابن ملك شاه (٤٧٢-٤٧٨ هـ /١٠٦٢-١٠٦٥م) هو سلطان سلجوقي حكم في دمشق وحلب، وهو أحد أبناء جلال الدولة ملك شاه الذين خاضوا صراعًا على السلطة بعد وفاة والدهم، ينظر وليد الأعظمي: أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، مكتبة الرقيم – بغداد ٢٠٠١، ص ٤٩؛ وينظر ياسين خير الله العمري، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، مطبعة البصرى ١٩٦٨ م، ص ١٩٤.

(٣) محمود بن ملك شاه بن ألب أرسلان، سلطان سلجوقي حكم من عام (٤٨٥-٤٨٧ هـ / ١٠٩٢-١٠٩٤م) جاء بعد والده ملك شاه إلا أنه لم يحكم على كل ما سيطر عليه أبوه من أراض وبلدان في الأناضول. ينظر: حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الإرشاد ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م، ص ١٦٩.

(٤) هو تاج الدولة تتش ابن السلطان ألب أرسلان أقطعه أخوه السلطان ملك شاه سنة ٤٧٠هـ منطقة الشام وما يفتحه من نواحيها، فسار إلى حلب سنة ٤٧١ هـ / ١٠٦١ م، وحاصرها وضيّق عليها ولكن قتله إتسز صاحب دمشق، ينظر: وليد الأعظمي، تاريخ الأعظمية، بغداد ٢٠٠١، ص ٤٧٢.

ران وكنجه، بإقليم كردستان، وسار إلى همذان وانتصر على بركيارك واعترف به الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢ -٤٦٧هـ/١٠٣١ -١٠٧٥م) سلطانًا، وبذلك أصبح للدولة السلجوقية سلطانان متنازعان[١]. كما ظهر على مسرح الصراع على السلطة الابن الآخر سنجر[٢] بن السلطان ملكشاه، وحدث نزاع شديد بين الإخوة الثلاثة حول السلطنة، الأمر الذي أضعفها وفتت وحدتها، وكان الخليفة العباسي المستظهر بالله، أبو العباس(٤٨٧ -٥١٢ه/١٠٩٤ -١١١٨م) يقف موقف المتفرج، ويعطي التفويض بالسلطنة لمن دخل بغداد ظافرًا منتصرًا، وكان يهمه اشتداد الصراع بين السلاجقة حتى يضعفوا ويتخلص منهم[٣].

استمر الصراع بين الإخوة الثلاثة حتى سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م عندما تم الاتفاق بينهم على تقسيم المملكة، وتغلب كل أمير على ناحيته، ويكفي هنا أن نشير إلى أرض الشام حيث صارت حلب إمارة مستقلة تحت زعامة رضوان[٤] بن تتش،

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج٨، ص ٤٤٢.

(٢) السلطان سنجر السلجوقي، هو السلطان السادس في السلاسة السلجوقية، كان واليا على خراسان سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م وبسط نفوذه على بلاد ما وراء النهر، توفي ٥٥٢هـ / ١١٥٧م، وكان آخر ملوك السلاجقة العظام، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ج١٩، ص ٣١٥.

(٣) علي محمد الصلابي، تاريخ السلاجقة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، القاهرة، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م ص ٢٠٧.

(٤) هو رضوان بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي (٤١٥-٥٠٧هـ / ١٠٢٤-١١١٣م) تملّك حلب بعد أبيه، وامتدّت أيامه وخطب له في دمشق أياما بعد مقتل أبيه، ثم استقل بحلب وأخذت منه الفرنج أنطاكيا، وكان ذميم السيرة، قرب الباطنية وأقام لهم دار دعوة بحلب. ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩ ص ٣١٥.

وصارت دمشق إمارة مستقلة تحت حكم دُقاق[١] بن تتش، أما فلسطين وأحوازها فقد كانت تحت حكم سقمان[٢] وإيلغازي أولاد أرتق التركماني، وأصبحت طرابلس إمارة مستقلة تحت حكم ابن عمار[٣] أبي طالب، وهو من الزعماء الشيعة المنشقين عن الدولة العبيدية[٤]. أما بقية موانئ الشام مثل صور وصيدا وعكا وجبيل... فهي تحت سيطرة الأسطول المصري الفاطمي[٥].

---

(١) شمس الدين أبو نصر بن السلطان تتش بن ألب أرسلان، حاكم سلجوقي حكم دمشق في الفترة ما بين ١٠٩٥-١١٠٤م . ينظر:

Charl galway : West Asia and North Africa، London 1994, p.122

(٢) الملك سقمان بن ارتق بن أكسب التركماني أخو الملك إيلغازي صاحب ماردين، وليّا أمرة القدس بعد أبيهما، فضايقهما بدر الدين الجمالي أمير الجيوش وأخذه منهما قبل أخذ الفرنج له بأشهر، فذهبا واستوليا على ديار بكر. ينظر:

Political Conography in ، Estelle jane Whelan : the Puplic figure Medival Mesopotamia، London، Melisende، 2006, p.210-234.

(٣) هو أبو طالب الحسن ابن عمار مؤسس دولة بني عمار في طرابلس، وكان قاضيًا عليها من قبل الفاطميين، فاستقلّ بها عام ٤٦٢هـ /١٠٧٠م، وهي بداية دولة بني عمار، وحكم طرابلس لمدة ٤٠ سنة تقريبا (٤٦٢/٥٠٢ /١٠٧٠-١١٠٩م) ينظر محمد بن عبد الرحيم ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، ونجلاء عز الدين، القاهرة، ج٢، ص ٧٦-٧٧.

(٤) وهي الدولة الفاطمية، اتخذت المذهب الشيعي الإسماعيلي مذهبًا لها، ونشأت في المغرب سنة ٢٩٧ هـ/ ٩٠٩م وانتقلت إلى مصر، واستقرّ بها المقام فيها عام ٣٦٢هـ/٩٧٢م، وامتدّ سلطانها إلى بعض أنحاء الدول الإسلامية، وسقطت على يد الأيوبيين عام ٥٦٧هـ/١١٧٣م، ينظر: أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، دار الكتب العلمية بيروت، ج١ ص ٢١٦.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط.، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٦، ص٢١٨.

وبالإضافة إلى هذا التشرذم والتنافس حول السلطة، فإن الحركة الباطنية[١] قد قامت بدور كبير في إعاقة جهاد السلاجقة ضد الصليبيين، بزرع الفتن بين السلاطين السلاجقة وزعمائهم وقادتهم، فكانت خنجرًا في خاصرة الدولة السنية طوال فترة الحروب الصليبية[٢].

إذا كانت تلك هي حالة الجبهة الإسلامية عشية الحروب الصليبية، فإن حالة الطرف الآخر من المعادلة وهم الصليبيون كانت في قمة عنفوانها وتماسكها، فقد اجتاحوا الأناضول وشمالي الشام، وأسسوا عددًا من الإمارات الصليبية، كانت أولاها في الظهور إمارة الرُها[٣]. وتلا ذلك قيام إمارة أنطاكية في رجب ٤٩١هـ يونيو ١٠٩٨م[٤] وأصبح الأمير بوهيموند[١] أول حكام إمارة أنطاكية، وقد استمرت الإمارة

---

(١) الحركة الباطنية: ويطلق على الفئة التي تقول إن النصوص الدينية لها معنيان، ظاهر يفهمه الناس، بواسطة اللغة وآخر باطن لا يدركه إلا الذين اختصهم الله بهذه المعرفة، وهم يصلون إلى إدراك هذه المعاني المحجوبة عن عامة الناس وهم ينقسمون إلى عدة فرق، منها الإسماعيلية والقرامطة والخرمية، ينظر: عكّام محمود، الموسوعة الإسلامية الميسّرة، دار صحارى، دمشق ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج٣، ص٤٨٣.

(٢) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا، منشورات دار الثقافة، دمشق، ١٩٩١م، ج١، ص ٢١٢.

(٣) هي كونتينة الرُها أسسها الكونت بلدوين الأول في ربيع الأول عام ٤٩١هـ/ فبراير ١٠٩٨م وهي أول إمارة صليبية في الشرق الأوسط، وبعد مرور عامين غادرها بلدوين إلى مملكة بيت المقدس لكي يصبح ملكًا عليها فتولى حكم الرُها بلدوين دي بورغ حتى سنة ٥١٢هـ/١١٤٤م وهو تاريخ سقوط المدينة في يد عماد الدين زنكي أمير الموصل، وكانت إمارة الرُها واحدة من أهم الإمارات الصليبية في المشرق، وذلك لقوة تحصيناتها، ونظرًا لما كانت تسببه من تهديدات وأخطار على المناطق الإسلامية المجاورة لها.
Templars : The Crusader States of Jerusalem and Cypress، king of 1099-1498، London، 1934، P.120.

(٤) إمارة إنطاكية هي إمارة صليبية تأسست عام ١٠٩٨م بعد استيلاء الصليبيين على مدينة أنطاكية خلال الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٦-١٠٩٩م). Templar : op. cit. p112

الإمارة حتى عام ٦٦٦ه/ ١٢٦٨م حينما سقطت بيد المماليك بقيادة الظاهر بيبرس[٢]. ثم مملكة بيت المقدس في شعبان سنة ٤٩٢هـ/ يوليو ١٠٩٩م[٣]. ثم مملكة طرابلس في ذي الحجة سنة ٥٠٢هـ /يوليو ١١٠٩م.

وهكذا فنتيجة لانقسام المسلمين وتفرق كلمتهم استولى الصليبيون على مناطق إستراتيجية دون أن يجدوا مقاومة حقيقية، وعجزت المحاولات التي قام بها بعض قادة المسلمين عن تحرير الأراضي المغتصبة وإعادة الحقوق إلى أهلها؛ بل لجأ بعضهم إلى

=

(١) بوهيموند الأول: أمير تارانتو ثم أنطاكية بعد مشاركته في الحملة الصليبية الأولى واستيلائه على أنطاكية، ولد عام ١٠٥٨م في جنوب إيطاليا كأكبر أولاد الدوق روبرت جيسكارد دوق كالابارياء شارك مع والده في حروبه ضد الإمبراطورية البيزنطية ما بين عامي ١٠٨٠و١٠٨٥ وبعد وفاة والده في ١٧ يوليو ١٠٨٥ تقاسم مع أخيه ممتلكات والده فحاز بوهيموند الأراضي الأدرياتيكية. Charl Galway : op . cit . p. 125.

(٢) الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري سلطان مصر والشام ورابع سلاطين الدولة المملوكية ومؤسسها الحقيقي (٦٥٩-٦٧٦هـ / ١٠٦٠-١٢٧٧م) كان أعظم سلاطين الدولة المملوكية حقق عددًا من الانتصارات ضد الصليبيين والمغول من أهمها معركة المنصورة وعين جالوت، ينظر: ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: مدحت الجيار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٧، ج٣ ص ٢١٠، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة الحياة المصرية، القاهرة ١٩٦٨م، ج٢، ص ١٦٩، وينظر المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٩، ج١، ص ٣١٨.

(٣) مملكة بيت المقدس هي مملكة كاثوليكية أنشئت في بلاد الشام عام ١٠٩٩م بعد الحملة الصليبية الأولى، وشكلت أكبر مملكة للصليبيين في الشرق، وقاعدة عملياتهم. واستمرت في الوجود زهاء قرنين من الزمن حتى تم فتح جميع أراضيها في عتليت وعكا من قبل المماليك عام ١٢٩١ .
Bréhier, Louis. "Latin Kingdom of Jerusalem (1099-1291). Article in the Catholic Encyclopedia . pp.234 – 254 .

الحلول الفردية، وتعاون آخرون مع الأعداء للحفاظ على ممتلكاتهم، واكتفى بعض منهم بالبكاء والعويل، وهو شر سلاح يلجأ إليه الإنسان ساعة الضعف تعبيرًا عن عجزه، وهذا ما عبّر عنه الشاعر الأبيوردي وكان معاصرًا لتلك الأحداث[١].

وشر سلاح المرء دمع يفيضه ... إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
وكيف تنام العين ملئ جفونها ... على هفوات أيقظت كل نائم
وإخوانكم بالشام أضحى مقيلهم ... ظهور المذاكي[٢] أو بطون القشاعم[٣]
تسومهم الروم الهوان وأنتمُ ... تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
أرى أمتي لا يشرعون إلى العدى ... رماحهم والدين واهي الدعائم
أترضى صناديد الأعاريب بالأذى ... ويغضي على ذل كماة الأعاجم

ولكن على الرغم من هذه الهزائم النفسية للنظم الإسلامية أمام الصليبيين إلا أن الشعوب الإسلامية لم تنهزم، وظلت روح الجهاد متقدة، ولم يهنأ الصليبيون بالأمن والاستقرار في تلك الإمارات التي أنشأوها، فكان السكان المسلمون ينالون منهم كلما سنحت لهم الفرصة، كما يغير عليهم الحكام المسلمون في سبيل إخراجهم

(١) ابو المظفر الأبيوردي اللغوي، شاعر وقته وصاحب التصانيف، عاش في القرن الخامس الهجري (٤٦٠-٥٠٧هـ/١٠٦٨-١١١٣م) ولد في قرية أبيورد ببلاد فارس، وينتمي إلى قبيلة قريش، كتب في التاريخ والأنساب والنقد الأدبي والقراءات القرآنية، وتوفي مسمومًا بأصفهان. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ٤١٥؛عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٨١م، ص٢١٦.

(٢) المذاكي: الإبل.

(٣) القشاعم: الصقور.

من البلاد التي اغتصبوها، ودفاعًا عن عقائدهم ومقدساتهم التي كان الصليبيون ينتهكونها[١].

الوضع في حلب قبيل المعركة:

كانت حلب تتمتع بمركز إستراتيجي حيوي من الناحية البشرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، وهي منطقة التوازن في الشام، فمن يستولى عليها يكون قد ترجحت كفته على القوى الأخرى، وكانت تقع بين إمارتين صليبيتين هما الرُها وأنطاكية، وفي الوقت نفسه تربط بين القوى الإسلامية المنتشرة في الجزيرة والفرات والأناضول وشمالي الشام، وفي هذه الفترة كانت حلب قد خرجت من نطاق الدولة السلجوقية وكان يحكمها رضوان بن تتش، وكان أخوه دقاق بن تتش يحكم دمشق، وكان الأخوان في صراع دائم[٢]، يعدُّ نقطة الضعف في بلاد الشام عند قدوم الصليبيين إلى المنطقة وسببًا من أسباب نجاحهم في اجتياحها دون مقاومة إسلامية فعالة حسب تعبير ريموناجيل الذي كان ضمن المعاصرين لهذه الأحداث، فكان كلا الأخوين في صراعهما يبحثان عن حلفاء، فتحالف رضوان مع الفاطميين ضد أخيه دقاق، وأقام الخطبة للخليفة الفاطمي المستعلى [٣] في حلب عام ٤٩٠ -٤٩٢هـ/ ١٠٦٩ -

(١) مصطفى شاكر: تاريخ الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦، ج٦، ص ٢٤٦.

(٢) ريموندا جيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة جوزيف نسيم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة،٢٠٠٢م، ص ٨٥.

(٣) الخليفة المستعلي بالله الفاطمي: أحمد بن معد (٤٦٦ – ٤٩٤هـ / ١٠٧٤ -١١٠١م) كان تاسع الخلفاء الفاطميين في مصر والمغرب، وقعت في عهده معارك بين أمير جيشه الأفضل شاهنشاه والصليبيين في بلاد الشام، استطاع الصليبيون بها الاستيلاء على القدس مجددا، ينظر المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلقاء، نشر جمال الدين الشيال، ليبزج ،١٩٤٥، ج ٢، ص ٢٧٥.

١٠٩٨م[١]، بينما كان دقاق حليفًا لياغي سيان [٢] حاكم أنطاكية، وكان رضوان متزوجًا من ابنة ياغي سيان[٣]، وعندما حاصر الصليبيون أنطاكية وطلب ياغي سيان النجدة من جيرانه المسلمين لم يقوموا بواجبهم حتى سقطت أنطاكية في يد الصليبيين، وأخذوا يهددون حلب، التي كانت تعيش حالة من الاضطراب الداخلي خاصة بعد وفاة رضوان في الثامن والعشرين من جمادي الآخرة سنة ٥٠٧ه/١١١٣م.[٤]، وتولى ابنه ألب أرسلان، ويعرف بالأخرس لحبسة وتمتمة في كلامه، وكان عمره ستة عشر عامًا، ووصفه ابن العديم بأنه كان متهورًا قليل العقل، حيث قام بالقبض على أخويه ملك شاه ومبارك وقتلهما، كما قتل عددًا من خواص أبيه، فانفض الناس من حوله، وكان الشخص المتولي أموره خادم لأبيه يدعى لؤلؤ الايايا[٥]، وفي أيامه قوى نفوذ

(١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨م، ص ١٣٣، وينظر: ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، دمشق ١٩٥١م، ج٢ ص ١٢٨.

(٢) ياغي سيان، مؤيد الدين بن محمد بن ألب أرسلان السلجوقي، ابن أمير أنطاكية، عينه ملك شاه أميرا ووالياً على أنطاكية حوالي عام ١٠٩٠ م وتزوجت ابنته الملك رضوان بن تتش ملك حلب، وتوفي ياغي سنة٤٩١هـ/ ١٠٩٨م، ينظر: جمال محمد عبد الرحيم زنكي، كتاب مؤيد الدين ياغي سيان صاحب أنطاكية والحملة الصليبية الأولى (٤٧٧-٤٩١هـ / ١٠٨٥-١٠٩٨ م) منشورات جامعة الكويت ١٩٩٨ م، ص ٢٤٢.

(٣) وهو الذي أنشأ خانكاة ، ولا زالت بقباها في سوق الصابون بحلب، وكان قبل وصوله إلى رضوان خادمًا لتاج الرؤساء بن الخلال ، وكان سيئ التدبير. ينظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ص ٣٧٤، وينظر: أبو الفدا (٦٧٢ – ٧٣٢ هـ/ ١٢٧٣-١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم عرب، دار المعارف، القاهرة، ص٢٤٦.

(٤) ابن العديم: زبدة الحلب، تحقيق سهيل زكار ١٤٢٨، ج٢، ص ٣٧٣.

(٥) هو بدر الدين لؤلؤ من أرمينيا، اشتراه رجل خياط ثم صار إلى الملك نور الدين أرسلان الأتاركي، صاحب الموصل، وكان مليح الصورة فحظي عنده وتقدّم في دولته إلى أن صارت له الكلمة، وقام بقتل أولاد أستاذه واحدًا بعد آخر، فصفت له الأمور واستقلّ بالملك سنة ٥٠٥هـ/١١١٢م، ينظر: عبد المنعم =

الباطنية وعاثوا فسادًا في حلب بالتواطؤ مع الصليبيين، واغتنم لؤلؤ فرصة لقتل سيده فقتله وهو نائم، ونصب على عرش حلب ابنًا آخر من أبناء رضوان عمره ست سنوات ويدعى سلطان شاه[١].

وازداد غرق حلب في الفوضى يومًا بعد يوم وانفرط عقد الأمن وأصبح الجنود وجماعات من العبيد في مواجهة تتقاتل فيما بينها، حيث لا رقيب ولا حسيب، فخرج مواطنو حلب بأسلحتهم يحرسون أنفسهم وممتلكاتهم من اللصوص، فانتهز الصليبيون في أنطاكية بقيادة أميرهم روجر Roger بتولي الإشراف على جميع الطرق المؤدية إلى حلب، واحتلوا القلاع الرئيسة التي تحيط بمدينة حلب منذ عام ٥١٠/١١١٦م[٢]. فكتب لؤلؤ ومعه أعيان حلب إلى أتابك طغتكين[٣] صاحب دمشق وبعض القوى الإسلامية لاستلام حلب ليدفعوا عنها الصليبيين، فلم يجب أحد إلى ذلك، ويسخر ابن العديم من ذلك الموقف بقوله: "ومن العجائب أن يخطب الملوك لحلب فلا يوجد من يرغب فيها، ولا يمكنه ذب الفرنج عنها"[٤]. وهاجم الفرنج حلب يسلبون وينهبون

=

الحفني: موسوعة الفرق، الباب الثامن، الشيعة، الفصل الثاني والعشرون، وينظر: ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ٢٠١٢، ج ٥، ص ٤١٥.

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ٣٧٧.

(٢) أمين معلوف: الحرب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة د. عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٩م ص ١٢٦.

(٣) أتابك: (الأصل: أتا بمعنى أبْ، بك بمعنى سيد) لقب تركي أطلقه السلاجقة على بعض رجالات البلاط والوزراء والقادة، يعني القائد أو الحاكم العسكري، وأول من لقب بهذا اللقب نظام الملك وزير السلطان ملك شاه السلجوقي، ينظر: أحمد مختار عمر، المعجم الكبير، معجم اللغة العربية، القاهرة، ٢٠١٢م، مادة أتابك.

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢ ، ص ٣٧٨.

حتى ثارت ثائرة المسلمين ضد حكام حلب وطلبوا من الخليفة العباسي المستظهر[١] أن يحسم الأمر ويدعو للجهاد ضد الصليبيين، وقد زاد غضب المسلمين وزاد من ثورتهم ضد الخليفة العباسي نفسه أن الإمبراطور البيزنطي أنستاسيوس الأول أرسل إليه يحثه على التصدي للصليبيين والإيقاع بهم وطردهم، وعرض مساعدته وتحالفه مع المسلمين ضدهم فاتهمه الثائرون بالتراخي، ومما قالوه: "أما تتقي الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية للإسلام حتى أرسل إليك في جهادهم"[٢]. وفي تلك الأثناء قُتل لؤلؤ بمؤامرة عام ٥١٠هـ/١١١٦م وتولى أمر حلب ياروق تاش أحد خُدام الملك رضوان، وكتب إلى روجر صاحب أنطاكية يهادنه وحمل إليه مالًا وتنازل له عن حصن القبة، ورتب له المكوس التي تؤخذ من الحجاج إلى بيت الله الحرام[٣]. وبعد أن يئس أهل حلب من نجدة تصلهم من ملوك الإسلام، وخشية أن تسقط حلب في يد الصليبيين اجتمع أعيانها يقودهم القاضي ابن الخشاب[٤] وقرروا عزل ياروق تاش

(١) الخليفة المستظهر بالله، بويع بالخلافة في محرم سنة ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م بعد أبيه، أخذت له البيعة من الملك ركن الدولة بركيارك ابن سلطان ملك شاه، كان كريم الأخلاق حافظًا لكتاب الله فصيحًا شاعرًا، توفي في ٢٣ ربيع ٥١٢هـ، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١٩، ص ٣٩٦.

(٢) أحمد الشامي: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م، ص ٧.

(٣) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص ٣٧٩.

(٤) ابن الخشاب، القاضي أبو الفضل بن الخشاب، ينحدر من أسرة غنية تعمل بتجارة الخشب، كان له دور أساسي في إدارة حلب، وكان يتمتع بسلطة دينية ومعنوية كبيرة، ويطلع بأمر تسوية النزاعات، وكان الملك رضوان يتحاشى الدخول معه في صراع، فتوارى في قصره في قلعة حلب، وترك أمر المدينة للقاضي ابن الخشاب الذي يحظى بثقة أهل حلب، قُتِل بحلب سنة ٥٧٠هـ ينظر: موسوعة التراجم والأعلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٤٥١.

وطرده من حلب وأرسلوا إلى نجم الدين إيلغازي بن أرتق صاحب ماردين لتسلُّم حلب في عام ٥١١هـ/١١١٧م ليدفع عنها الصليبيين[١].

تولي نجم الدين إيلغازي أمر حلب:

في ذلك الاجتماع الذي ضم وجهاء حلب تحدث القاضي ابن الخشاب بأن حلب مدينة حدودية وعليها أن تكون في طليعة المواجهة مع الصليبيين، كما أن عليها أن تعطي حكمها لأمير قوي مجاهد، وفكروا مليًا في الشخصيات الإسلامية في الأقاليم والمدن التي حولهم فلم يجدوا إلا صاحب ماردين نجم الدين إيلغازي على الرغم من أن سلوكه لم يكن مثاليًا على الدوام، ولكنه محارب مقدام وينحدر من أسرة محاربة، فقد حكمت أسرته القدس زمنًا طويلًا، وأحرز أخوه سُقمان النصر على الفرنج في حران[٢]. يقول عنه الذهبي: "كان ذا شجاعة ورأي وهيبة وصيت، وهو أول من تملك ماردين واستمرت في يد ذريته إلى الساعة..."[٣]. فكتبوا له بالحضور فلم يتردد وشخص إلى حلب، ففتح له القاضي ابن الخشاب أبواب المدينة بنفسه[٤].

ويذكر ابن العديم أن العامة في حلب لم يتفقوا على تولية إيلغازي لأول مرة، فعاد أدراجه، ولكن القاضي ابن الخشاب ومعه جماعة من الأعيان لحقوا به وتلطفوا به، ولم يزالوا به حتى رجع ودخل حلب وتسلم القلعة، وأخرج منها أتباع رضوان وأولاده وسائر الجنود، ووضع يده على أموال رضوان والخدم الذين استولوا على

---

(١) عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية في بلاد الشام والجزيرة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٠، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) أمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص ١٢٧.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج١٩، ص ٤٣٥.

(٤) أمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص ١٢٧.

حلب من بعده ليصرفها على الجند، وراسل الصليبيين وعرض عليهم الانسحاب من عزاز مقابل مال يؤديه إليهم، إلا أنهم رفضوا، طمعًا منهم في الاستيلاء على حلب نفسها، مستغلين فرصة الضعف والانهيار الذي تعيشه حلب، وزحف الصليبيون على حلب فبادر أهلها بالاستسلام ووقعوا صلحًا مع الصليبيين من شروطه تسليم تل هراق للصليبيين، وأداء القطيعة المفترضة على حلب وغربها، وقاموا بزراعة منطقة عزاز وأصلحوا زراعتها، وأخذوا أموالًا لا تحصى ثم عادوا إلى أنطاكية[١].

ويذكر ابن القلانسي ذلك في أحداث سنة ٥١٢هـ/١١١٨م بقوله: "في هذه السنة شاعت الآثار والأخبار من ناحية الإفرنج، بطمعهم في المعاقل والبلاد، وإجماعهم على قصدها بالعبث والإفساد لغفلة الإسلام عن فضهم بالغزو والجهاد، وأنهم قد شرعوا في التأهب لهذه الحال والاستعداد"[٢]، وفي تلك الأثناء كان إيلغازي قد اتجه إلى الشرق لجمع العساكر لخوض المعركة ضد الصلف الصليبي.

الاستنفار والتعبئة للمعركة:

قبل خوض المعركة أخذ نجم الدين إيلغازي في الإعداد والتعبئة، فبعث إلى ملوك الإسلام يستنفرهم ويطلب منهم المدد لإعانته في جهاد الصليبيين بحلب، فيقول ابن الأثير في أحداث سنة ٥١٢هـ/١١١٨م:

"... وفيها وصل رسول إيلغازي صاحب حلب وماردين إلى بغداد، يستنفر على الفرنج، ويذكر ما فعلوا بالمسلمين في الديار الجزرية، وأنهم ملكوا قلعة عند الرُها

(١)زبدة الحلب، ج٢، ص ٣٨٧.

(٢) ابن القلانسي- حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ٤٧٠-٥٥٥هـ/١٠٧٧-١١٦٠م: تاريخ دمشق، تحقيق. سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٣١٨.

وقتلوا أميرها ابن عطير"[١]. فسيرت الكتب بذلك إلى السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاة[٢]. كما استجاب له عدد من الأمراء العرب الأقوياء منهم : دبيس بن صدفة[٣] وسليمان بن المبارك وابن شبل الكلابي، والأمير طغان أرسلان بن المكر، صاحب بدليس وأرزن، كما انحاز إليه بشكل مفاجئ الأمير سلطان بن منقذ صاحب إمارة شيزر[٤]. رغم مهاجمة إيلغازي لهم في معركة تل دانيث عند الجسر، ولعل السبب في هذا التوجه يعود الى أطماع روجر التوسعية في إمارة شيزر مما بات يهدد وجودها كليًا، فلم يجد الأمير سلطان بن منقذ [٥] بدًا من الانحياز إلى إيلغازي، فبعث

(١) وهو من بني نمير تسلم الرُها في حوادث عام ٤١٦هـ. ينظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٩، ص ١٨٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص ١٨٥.

(٣) هو أبو الأعز دبيس بن صدفة بن سيف الدولة أبي الحسن صدفة، حاكم الحلة المزيدية، وأمير بادية العراق خلال أعوام ١١١٩– ١١٣٥م من أمراء بني مزيد الأسديين، توفي ٥٢٩هـ/١١٣٤م، قال عنه ابن خلكان: كان جوادًا كريمًا عنده معرفة بالأدب والشعر، وهو من بيت كبير وكان في خدمة مسعود بن محمد ملكشاه السلجوقي. ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، بيروت ١٩٨٥، ج٢، ص١٥٧، وأبو الفدا: المختصر في اخبار البشر، ص١٥٦، وابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق سهيل زكار، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٢٢٠، ج٢، ص٢.

(٤) شيزر: وهي مدينة قديمة ذات قلعة وكور، ولها معاملات، وقراها في إقطاعات جند حلب، يجري بها نهر العاص، وهي قريبة من حماة ولها نائب من قبل السلطان وقاضي يوليه قاضي حلب، وهي معروفة بالوخم. ينظر: ابن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، عالم التراث، دمشق ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١٦٣، وينظر حجازي عبد المنعم: إمارة شيزر في عصر بني منقذ، دار الآفاق العربية، القاهرة ٢٠١٤ م، ص ٢٥ وما بعدها.

(٥) أسامة بن منقذ ٤٨٨–٥٨٤هـ / ١٠٩٥–١١٨٨م، يكنّى أبو المظفّر، وهو فارس ومؤرخ وشاعر، وأحد قادة صلاح الدين الأيوبي، قام ببناء قلعة عجلون على جبل عوف، عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م، بأمر من =

أخاه أسامة على رأس الجيش المشارك ليرابط في جنوب أنطاكية، كما كتب إيلغازي إلى الأتابك ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق وأبدى رغبته في الاجتماع به سنة ٥١٢هـ/١١١٨م للتعاون في إخراج الصليبين من حلب فاجتمعا في قلعة دوسر واتفقا في سنة ٥١٢هـ/١١١٨م على ملاقاة الصليبيين في شهر صفر من السنة نفسها فحشد إيلغازي جيوشه وأخذ ينتظر المدد للتقدم نحو معسكر العدو[١].

المعركة:

لم تكن معركة سرمداء معركة صورية عابرة، وإنما كانت معركة حقيقية، أعد لها الطرفان عدتها، واستخدما فيها كل أساليب الخطط الحربية المعروفة آنذاك، فقد استبق روجار صاحب أنطاكية وقائد الصليبيين المسلمين في اختيار مكان المعركة بأرض سرمداء، وهو مكان حصين ومريح للجنود، يقول وليم الصوري: "عندما علم روجار بقدوم الجيوش الإسلامية أرسل إلى الصليبيين المجاورين له، وإلى لورد جوسلين[٢] كونت الرُها، وإلى بونت بل[١] كونت طرابلس وإلى الملك بلدوين الثاني

=

صلاح الدين الأيوبي، قضى آخر حياته منفيًا في حصن كيفا، فأقبل على التصنيف، وصنّف كتبًا عدة، ينظر أمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص ١٩٧.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص ١٨٥.

(٢) لورد جوسلين: هو جوسلين الثاني كونت الرُها كان الأمير الرابع والأخير لكونتيه الرُها وكان قد أسر في معركة أعزاز ثم أطلق سراحه بعد أن افتداه بلدوين الثاني سنة٥٢٥هـ/ ١١٣١م وتم فتح الكونتيه على يد عماد الدين زنكي، وتم أسره فقضى بقية حياته في الأسر. لمزيد من المعلومات ينظر:

Thomas Andrew Archer ., Charles Lethbridge KingsfordThe Crusades: P.145 The Story of the Latin Kingdom of Jerusalem.

ملك بيت المقدس يصور لهم الخطر لمساعدته في هذه الأزمة الطارئة التي اشتدت عليه وطأتها، وسرعان ما بادر الملك إلى جمع كل من أمكن جمعه من مملكته من العسكر استجابة لهذه الدعوة غير المتوقعة، وتقدم بحث الخُطا إلى طرابلس، وقد حمل معه صليب الصلبوت حيث وجد الكونت[٢] يتأهب هو الآخر للخروج، وانضمت قواته إلى قوات الملك وسارا بقية الطريق"[٣].

ولكن روجر لم ينتظر وصول هذه القوة وتحرك بجيوشه نحو أرض المعركة وأعلن أنه لن يتريث أكثر من هذا رغم نصح الأمراء له بالتريث، ولعل السبب في ذلك حسب رأي وليم الصوري هو نداءات بعض أمراء المنطقة الذين يرغبون في الدخول في حماية الصليبيين خشية أن تقع أراضيهم غنيمة في يد المسلمين[٤].

=

(١) بونت بل : وعرف أيضًا بالكونت دي سانجيل وهو ريمون دوتولوز، وبالفرنسية Raymond de saint-Gilla وعرف لدى المؤرخين العرب في العصور الوسطى باسم ريموند سنجيل (١١٠٥-١١٤١م).

Foundation for Mediervel Genealogy، 2017.

(٢) الصليب وهو أبرز رموز الديانة المسيحية، وصليب الصلبوت هو اسم للبقايا المادية التي يعتقد الصليبيون أنها من الصليب الذي صلب فيه يسوع المسيح وفقًا لرواية المجامع المسكونية السبعة ينظر: فايز عاشور جهاد المسلمين في الحروب الصليبية في العصر الفاطمي والسلجوقي والزنكي، مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٦٤؛ Christianity by Alister. E .McGrath، 2006. P.32

.

(٣) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١، ج٢، ص٣٤٢ – ٣٤٩.

(٤) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص ٣٤٩؛ وستيفن رينسمان: تاريخ الحروب الصليبية، نقله الى العربية السيد الباز العريني، بيروت، ١٩٦٧م ص٣٣٢.

=

ولهذا اندفع روجر في طيش ومعه جيش يتكون من حوالي سبعمائة فارس وثلاثة آلا ف من المشاة المدربين، هذا بالإضافة إلى جماعة من التجار كانوا يتبعون الجيش للمتاجرة وبيع ما معهم من السلع[١].

يلاحظ في تناول المؤرخين الصليبيين المعاصرين لهذه المعركة الاقتضاب والاستنكار لهذه النتيجة، فمثلًا فوشييه الشارتري (١٠٩٥ -١١٢٧م)[٢] أوردها باقتضاب ضمن حوادث عام ١١١٩م واعتذر عن التفصيل فيها بقوله: (لا نود أن نثقل على قارئ هذا التاريخ بتعداد كل الحوادث المشؤومة التي وقعت ذلك العام في منطقة أنطاكية، وكيف خرج روجر أمير تلك المدينة مع قادته ورجاله ليقاتل الأتراك، فقُتل على مقربة من بلدة أرتاح، وكيف قتل سبعة آلاف من رجال أنطاكية، وما قتل من الأتراك سوى عشرين، ... ثم يواصل حديثه باللجوء إلى الرخصة الكنائسية بتأنيب روجر على خطاياه، وأنه كان سبب النكسة في سرمداء فيقول: "لا ينبغي أن يعجب أحد كيف سمح الله بدحر روجير ورجاله، إذ أنهم أغرقوا في الملذات، وتمتعوا بالثروات من كل صنف ولم يكنوا في إثمهم أي احترام لله ولا للإنسان، فقد ارتكب بنفسه الفحشاء بلا حياء مع الكثيرات وهو ما زال يقطن مع زوجته.. وقد أثم هو والقادة من رجاله.. وارتكبوا كثيرًا من المعاصي فانطبق عليهم ما قال داود "جحظت

=

University of ،Gabriele: Francesco: Arab Histories of the Crusades ،California Press ، 1969.

(١) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص ٢٤٩.

(٢) فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي (١٠٩٥هـ/١١٢٧م) الطبعة الأولى، دار الشروق، عمان، الأردن، ١٩٩٠م. ص ١٤٨.

عيونهم في الشحم وجاوزوا تصورات القلب"[١]. وقل ما ساعد الاعتدال في غمرة المتع الوافرة[٢].

ويذكر ابن الأثير أن عدد الجيش ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف من المشاة، وبهذا فإن جيش الصليبيين قد بلغ حوالي ١٢ ألف جندي[٣]. ولعل هذا هو الأرجح لدقة ابن الأثير وتماشي هذا العدد مع أحداث المعركة، هذا إذا علمنا أن المؤرخين الصليبيين من أمثال وليم الصوري يميلون إلى التقليل من شأن الانتصارات الإسلامية، ووصف أبن القلانسي خروج جيش روجر بقوله: "... ووردت أخبار بخروج روجير صاحب أنطاكية منها، في من جمعه وحشده من طوائف الأفرنج ورجاله الأرمن من سائر أعمالهم وأطرافهم... في أتم عدة، وأكمل شكة، وأنهم قد نزلوا في الموضع المعروف بسرمدا، وقيل دانيت البغل بين أنطاكية وحلب..."[٤]. وهناك بنى روجر حصنًا كبيرًا بين جبلين استعدادًا للمعركة. أما إيلغازي قائد جيش المسلمين فكان نازلًا في قنسرين في انتظار حليفه أتابك طغتكين صاحب دمشق، وذلك حسب الموعد الذي اتفقا عليه في العام الماضي، ولكن الأتابك طغتكين قد تأخر وطال انتظار الجيوش مما دفع القادة إلى مطالبة إيلغازي بالهجوم، لاسيما وأن العدو قد اختار المكان ويجب ألا يعطى الفرصة لاختيار زمان المعركة، وأن تكون المبادرة في يد المسلمين، ولهذا لم يتردد إيلغازي في اتخاذ قرار الهجوم المباغت، فأعلن الاستعداد للهجوم، وقسم جيشه

---

(١) مزامير ٣/٧:٩.

(٢) فوشيبة الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، الطبعة الأولى دار الشروق، عمان، ١٩٩٠م ص ١٤٨،

-X.، IX، V-VI- and William of Tyre XII، II،Billa Anlio Chena

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص ١٨٥.

(٤) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٣١٩.

إلى كتائب، وحثهم على الثبات في القتال، وبذل المهج والأرواح في الجهاد، فأقسموا جميعًا على ذلك[١].

وعبثًا حاول روجر خديعة إيلغازي فبعث برسالة عاجلة يقول فيها: لا تتعب نفسك بالمسير إلينا فنحن واصلون إليك، وهو نوع من الغرور بالنفس كعادة الصليبيين، وهنا جاء الرد مدويًا إذ أمر إيلغازي الجيش بالتحرك في ليلة الجمعة السادس عشر من ربيع الأول عام ٥١٣ه/١١١٩م، وقام الجيش بحركة تمويهية لتضليل العدو فاتجهوا نحو الأتارب[٢] وزردنا فظن العدو أن المسلمين يريدون احتلال تلك المواقع، ولكن سرعان، ما استدار الجيش في جنح الظلام ونزل بالقرب من معسكر الصليبيين، وعند فلق الصبح اصطف المقاتلون المسلمون للقتال، وانبرى القاضي أبو الفضل بن الخشاب يحرض الناس على القتال وهو راكب فرسًا وعلى رأسه عمامة وفي يده رمح، فقال أحد الجنود التركمان متهكمًا ومتسائلًا: فهل جئنا من بلادنا ليقودنا هذا المعمم[٣]. فأقبل على الناس وخطبهم خطبة بليغة استنهض فيها عزائمهم على الجهاد فأبكى الناس وعظم في أعينهم[٤].

وعندما بعث روجر كشافته للتجسس ومعرفة مدى استعداد المسلمين وجدوا أن جيش المسلمين قد اقترب منهم، فعادوا مسرعين وأخبروه، فقام بترتيب جيشه وتنظيمه للقتال، ولكن عنصر المباغتة الذي قام به إيلغازي كان حاسمًا حيث أمر

(١) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص١٩٠، ١٩٠/٢.

(٢) الأتارب: وهي من القلاع الرومانية القديمة، وتقع على بعد ٨ كليو إلى الغرب من عفرين التابعة لمحافظة حلب بسوريا، وأصبحت المنطقة اليوم تعرف بمدينة الاتارب. كامل الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، دار العلم، حلب، ط٢، ١٤١٩هـ، ص٧٤.

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ٣٩٠.

(٤) أمين معلوف، الحرب الصليبية كما رآها العرب، ص ١٢٨.

جيوشه بالهجوم المباشر على العدو من كل الجهات، وقام القائد طغان بن دملاج بالالتفاف حول معسكر العدو والاستيلاء على خيامهم وقتل من فيها، فارتبك الجيش الصليبي، وفي الوقت نفسه كان إيلغازي في الواجهة يقود الهجوم العام من جميع الجهات. يقول ابن العديم واصفًا المعركة: "وحمل الترك بأسرهم حملة واحدة من جميع الجهات صدقوهم فيها، وكانت السهام كالجراد ولكثرة ما وقع في الخيل من السهام عادت منهزمة، وغلبت فرسانها وطحنت الرجالة والأتباع والغلمان بالسهام وأخذوهم بأسرهم أسرى..."[١]. ولم يفلت من الصليبيين إلا عدد قليل، فكانوا جميعًا ما بين قتيل وجريح وأسير، وكان ضمن القتلى روجر قائد الجيش وصاحب أنطاكية حيث وجد ممددًا وقد انفلق وجهه عند الأنف، ثم قطع رأسه وحمل[٢].

ويصف ابن القلانسي المعركة بقوله: "فحين عرف المسلمون "معسكر الصليبيين" طاروا إليهم بأجنحة الصقور إلى حماية الوكور، فما كان بأسرع من وقوع العين على العين، وتقارب الفريقين حتى حمل المسلمون عليهم، وأحاطوا بهم من جميع الجهات وسائر الجنبات ضربًا بالسيوف، ورشقًا بالسهام، ومنح الله تعالى وله الحمد حزب الإسلام النصر، على المردة الطغام، ولم تمض ساعة من نهار يوم السبت السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاثة عشرة وخمسمائة إلا والفرنج على أرض مسطحة واحدة، فارسهم وراجلهم بخيلهم وسلاحهم، بحيث لم يفلت منهم شخص يخبر خبرهم"[٣]. وقد استشهد من المسلمين حوالي عشرين نفرًا منهم سليمان بن المبارك

(١)زبدة الحلب، ج٢، ص ٣٩٠.

(٢) ابن معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص ١٢٨.

(٣) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٣١٨.

بن شبل أحد القادة العرب[١]. وقام أهل القرى بحرق جثث القتلى الصليبيين[٢]. وقد وجدوا في إحدى الجثث واحدًا وأربعين نصل نشاب، كما أن بعض الخيول أصبحت كالقنافذ من كثرة النصل العالق بها، وكل ذلك دليل على شدة المعركة وعنفها[٣]. أما الأسرى فقد بلغوا نيفًا وسبعين فارسًا من قادتهم، وحملوا إلى حلب، وعرضوا فدية لأنفسهم بلغت ثلاثمائة ألف دينار، ولكن إيلغازي رفضها وأمر بقتلهم جميعًا نكاية فيهم لقتلهم أسرى المسلمين والتنكيل بهم. يحكى ابن العديم: "أن أحد الأسرى عرض على إيلغازي وكان رجلًا ضخمًا قويًا وقد أسره رجل ضعيف قصير قليل السلاح، فقال له التركمان: أما تستحي أن يأسرك مثل هذا الضعيف، وعليك مثل هذا الحديد؟ فقال: والله ما أسرني هذا، وإنما أسرني رجل عظيم أعظم مني وأقوى، وسلمني إلى هذا، وكان عليه ثوب أخضر وتحته فرس أخضر"[٤].

وعقب انتهاء المعركة نزل إيلغازي في خيمة روجر وحمل إليه المسلمون الغنائم التي لا تحصى، فلم يأخذ منها شيئًا سوى بعض الأسلحة التي يهديها إلى ملوك الإسلام، ورد عليهم جميع ما حملوه إليه، وأمرهم بتقسيمها فيما بينهم ليبعث في نفوسهم حب الجهاد، ثم انتشرت جيوش الإسلام في أحواز أنطاكية والسويدية وغيرها من قرى الصليبيين يقتلون ويأسرون ويغنمون حيث انهارت القوى الصليبية

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص ١٨٥.

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص ٣٩١.

(٣) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٣١٩.

(٤) زبدة الحلب، ج٢، ص ٣٩١.

تمامًا، فأخذ المسلمون من السبي والغنائم والدواب ما يفوق الإحصاء ولم يبق أحد من التركمان إلا امتلأ صدره ويداه بالغنائم والسبي[١].

وكان بإمكان إيلغازي التقدم والاستيلاء على أنطاكية، ولكنه اكتفى بهذا النصر المؤزر في سرمداء واتجه نحو حلب. ووصل البشير بالنصر إلى حلب والمسلمون صفوف مرصوصة في المسجد الجامع يصلون الظهر، والجميع يلهج بالدعاء لجيش الإسلام بالنصر وعقب السلام سمعت جلبة من جهة الغرب وعقب صلاة العصر وصلت تفاصيل النصر الكبير، فاحتفلت حلب بنصرها عدة أيام، وتغنى الشعراء والأدباء وذبح الناس الذبائح وتدافعوا لرؤية الأسرى، والرايات الصليبية والخوذات ودروع الزرد [٢]التي غنمها جند الإسلام، وانشدت في الساحات العامة قصائد المديح في إيلغازي، ومن ذلك ما أورده ابن الأثير في مدح إيلغازي قول الأعظمي:

قل ما تشاء فقولك المقبول وعليك بعد الخالق التعويل
واستبشر القرآن حين نصرته وبكى لفقد رجاله الإنجيل

كما أرسل إليه الخليفة العباسي المسترشد بالله[٣] الخلع وشكره على جهاده[١].

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ٣٩٢.

(٢) دروع الزرد أو درع الزرد(Hauberk): نوع من الدروع يتكون من الزرد أي حلق الحديد الذي ينسج مع بعضه ليصنع منه قميص يرتديه المقاتل، لحمايته من الضربات التي يتلقاها في ساحة المعركة من الأسلحة كالسيوف والسهام والحراب. وليم الصوري:الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٤٥.

(٣) الخليفة المسترشد بالله العباسي، بويع له بالخلافة عقب موت أبيه المستظهر بالله في سنة ٥١٢هـ / ١١٢٠م، وكان ذا همة عالية وشهامة زائدة، وإقدامٍ ورأي، ضبط أمور الخلافة ورتبها أحسن ترتيب، وأحيا رسم الخلافة، وكان يقود الحروب بنفسه حتى استشهد بمراغة سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م، ينظر: السيوطي: تاريخ =

لقد عاش الحلبيون منذ سنوات في رعب من بوهيموند وتنكري، ثم روجر صاحب أنطاكية، وكانوا ينتظرون قدرهم المحتوم، وهو اليوم الذي يصبحون فيه على غرار إخوتهم في طرابلس، مرغمين على الاختيار بين الموت أو المنفى، وهاهم أولاء يشعرون بعد نصر سرمدا بأنهم يبعثون من جديد، فأثارت مأثرة إيلغازي العزة والحماسة في جميع أرجاء العالم الإسلامي[٢]. وقد كتب ابن القلانسي يقول: "وكان هذا الفتح من أحسن الفتوح والنصر الممنوح، لم يتفق مثله للإسلام في سالف الأعوام"[٣]. ونظرًا لكثرة عدد القتلى الصليبيين في هذه المعركة والدماء التي سالت فيها سماها الفرنجة معركة ساحة الدم، (Ager Sanguine)[٤].

نتائج المعركة:

أسفرت معركة - ساحة الدم عن نتائج عدة بالنسبة للطرفين الإسلامي والصليبي، ففي الجانب الإسلامي نذكر الآتي:

إعادة الثقة للجيوش الإسلامية وارتفاع الروح المعنوية خصوصًا لدى الحلبيين، وتأكد للجميع بأن في اجتماع المسلمين وتعاونهم فيما بينهم انتصار لهم أمام أعدائهم، فقد أدى هذا النصر الذي حققه إيلغازي إلى قيام جبهة إسلامية متحدة من الأمراء

=

الخلفاء، تحقيق حمدي الدمرداش، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٥/٢٠٠٤م.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٢٨٩.

(٢) أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص ١٢٨.

(٣) ابن الأثير: ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٠١.

(٤) هانس أبراهارد ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم، نشر دار المدى،٢٠٠٩م، ص ١١٧.

المسلمين في الشام والجزيرة، وتحقيق سلسلة من الانتصارات أدت إلى استيلاء نجم الدين إيلغازي على حصن الأتارب في السنة نفسها[١].

وخلال عودة إيلغازي إلى حلب استطاع رجاله أن يلتقوا بالصليبيين في حصن زردنا ووقع الأبرص صاحب حصن زردنا أسيرًا في يد المسلمين، فحملوه إلى إيلغازي في حلب الذي أنفذه بدوره على طغتكين بدمشق، حيث قتله صبرًا[٢].

كان انتصار إيلغازي في ساحة الدم مهمًا بالنسبة للإمارات الإسلامية عامة بالمنطقة، فعلى الرغم من تغافل المسلمين عن الاستيلاء على أنطاكية، وتدارك الملك بلدوين للموقف ومدافعته عنها، إلا أنه قد تبددت أسطورة البأس الصليبي، وتشربت بعض الولايات تلك الروح الجديدة، فمثلًا نجد أن بني منقذ في شيزر قد امتنعوا عن أداء الأتاوة التي كانوا يؤدونها لأمراء أنطاكية، كما استردوا منهم حصن زور الذي سبق وأن سلموه لهم تحت ضغطهم العسكري[٣].

ومن نتائج هذه المعركة بالنسبة للصليبيين أن أنطاكية الصليبية أصبحت بلا أمير يحكمها بعد مقتل روجر في المعركة، وكذلك أصبحت بلا جيش يحميها بعد القضاء على قواتها في معركة سرمداء، وأحدث ذلك توترًا شديدًا وانقسامًا بين سكانها النصارى الذين أصبحوا يستعدون لتحمل حصار الجيش الإسلامي لهم، اعتقادًا منهم

---

(١) السيد الباز العريني: الشرق الأوسط والحروب الصليبية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م، ٤٧٣/١.

(٢) عماد الدين خليل، الإمارات الأرتقية والجهاد ضد الصليبيين ص ٢٤٣، وينظر: زبدة الحلب ج٢، ص ١٩٠.

(٣) Stevenson: The crusaders in the East : A Brief history of the Wars of Islam with the latins in Syrya during the Twelfth and Thirteen Centuries، published in 1007، P.108 .

أن جيش المسلمين سيواصل زحفه لاحتلال أنطاكية فقام النصارى الغربيون باتخاذ قرار بتجريد النصارى الشاميين والأرمن والروم المقيمين في المدينة من سلاحهم ومنعهم من مغادرة منازلهم خوفًا من تحالفهم مع الحلبيين[١].

كان ذلك الفراغ السياسي والعسكري الذي أحدثته معركة سرمداء في إمارة أنطاكية فرصة للملك بلدوين الثاني ملك بيت المقدس لفرض وصايته على أنطاكية لحين وصول الوريث بوهيموند الثاني ابن بوهيموند الكبير مؤسس إمارة أنطاكية وعمل على إعادة الثقة إلى الأهالي، وإعداد القوة اللازمة لقهر المسلمين وصدهم عن المدينة[٢].

(١) أمين معلوف: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص ١٢٩.

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص ٣٩٢، وينظر: فايز حماد عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص ١٦٥.

الخاتمة

حقّق نجم الدين إيلغازي أمجادًا تاريخية مهمة في تاريخ الشام ومنطقة الجزيرة الفراتية، ولكن جاءت معركة ساحة الدم بالقرب من حلب لتضعه ضمن قائمة أبطال الإسلام، ذلك أن النصر الذي حققه إيلغازي في هذه المعركة جاء بعد احتياج الصليبيين للمنطقة، واستيلائهم على بيت المقدس وتأسيس إمارات لهم وسط انهيار تام للجبهة الإسلامية، ففقد أهل حلب الأمل في خليفة بغداد، وفي السلطان السلجوقي في إنقاذهم من اعتداءات الصليبين في أنطاكية واستيلائهم على أراضيهم وفرض الضرائب والمكوث الباهظة عليهم بقيادة زعيمهم الغاشم روجر، فلم يجدوا بُدًّا من الالتجاء إلى زعيم محلي هو نجم الدين إيلغازي صاحب ماردين، فلم يتردد إيلغازي في قبول المهمة الصعبة التي عجز عنها الكبار، فجمع جيشه من العرب والعجم ووحد كلمتهم، وخطط للمعركة تخطيطًا دقيقًا، فكان النصر في سرمداء نصرًا ساحقًا على الأعداء، حيث سقط روجر صريعًا، ولم ينج من جيشه إلا القليل الذين أسروا وغنم المسلمون غنائم لا تحصى، ودخلت جيوش النصر مدينة حلب عصرًا، وسط دهشة السكان، وهم يرون أسرى الصليبين مكبلين في الأصفاد، وكأنهم في حلم عميق، وفرح المسلمون بنصر الله ينصر من يشاء.

ومن النتائج المهمة لهذه المعركة هو أن الوحدة سلاح ماض عبر تاريخ الإسلام والمسلمين، وأن قوة المسلمين في وحدتهم، هكذا يعلمنا التاريخ.

ظهر في هذه المعركة زهد القيادة في المال والجاه والشهرة، فإن إيلغازي رفض الغنائم العظيمة التي أحضرها له قادة المعركة وهو مقيم في خيمة الهالك روجر، وردها عليهم، واكتفى بالأجر من الله تعالى والشكر له على هذه النعمة والتوفيق.

أن إيلغازي لم يوظف هذا النصر بما يليق بعظمته، فكان بإمكانه أن يواصل زحفه ويستولي على أنطاكية بعد انهيار جيشها ومصرع أميرها، حتى أن السكان أخذوا في الاستعداد للهروب أو الحصار، ولو قام بذلك واستولى على أنطاكية لانقلب ميزان الحرب كليًا في المنطقة.

كان نصر سرمداء بمثابة الضوء الأخضر لحكام المسلمين بإمكانية هزيمة الصليبيين واسترداد بيت المقدس والمدن الإسلامية في الشام، وهذا هو ما قام به صلاح الدين الأيوبي فيما بعد.

قائمة المصادر والمراجع:

[١] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مطبعة دار الشعب، القاهرة، ١٤٣٥م.

[٢] ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، المكتبة التوفيقية، دمشق، ١٤٣٦م.

[٣] ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق محمد محيي الدين، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، ١٩٤٩م.

[٤] ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، عالم التراث، دمشق، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

[٥] ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

[٦] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ٢٠١٢م.

[٧] ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، القاهرة ١٩٨٣م

[٨] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في نجوم مصر والقاهرة، مطبعة الحياة المصرية، القاهرة ١٩٦٨م.

[٩] ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق مدحت الجيار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٨م.

[١٠] ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ٤٧٠ -٥٥٠هـ/ ١٠٧٧ -١١٦٠م، تحقيق سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٠٣ه/١٩٨٣م.

[١١] _____ ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨.

[١٢] ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيي زكريا، منشورات دار الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.

[١٣] ابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ه/١٩٩٥م.

[١٤] ابن كثير: البداية والنهاية قي التاريخ، بيروت، ١٩٨٥م.

[١٥] أبو الفدا (٦٧٢ -٧٣٢هـ/١٢٧٣ -١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم عرب، دار المعارف، القاهرة.

[١٦] أبو شامة المقدسي: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢.

[١٧] أحمد الشامي: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

[١٨] أحمد مختار عمر: المعجم الكبير، معجم اللغة العربية، القاهرة، ٢٠١٢م .

[١٩] السيد الباز العريني: الشرق الأوسط والحروب الصليبية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.

[٢٠] السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

[٢١] المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، نشر جمال الدين الشيال لايبزج، ١٩٤٥.

[٢٢] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٩م.

[٢٣] جمال محمد حسن عبد الرحيم زنكي: كتاب مؤيد الدين ياغي سيان صاحب أنطاكيا والحملة الصليبية الأولى (١٤٧٧ -١٤٩١/١٠٨٥/١٠٩٨م)، منشورات جامعة الكويت ١٩٩٨م.

[٢٤] حجازي عبد المنعم: إمارة شيزر في عصر بني منقذ، ٤٧٤ -٥٢٢هـ/ ١٠٨١ -١١٥٧م، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٤م.

[٢٥] حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٥م.

[٢٦] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني، دار العلم للملايين ن ط٤، بيروت ١٩٨١م.

[٢٧] الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

[٢٨] ريموندا جيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة جويف نسيم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة ٢٠٠٢م.

[٢٩] صفاء عثمان محمد إبراهيم: مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الثاني في الفترة (١١١٨ -١١٣١م /٥١٢ -٥٢٥هـ) طبعة القاهرة ٢٠٠٥ .

[٣٠] عبد المنعم حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، المكتبة الإسلامية ١٩٩١م.

[٣١] علي محمد الصلابي: تاريخ السلاجقة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

[٣٢] ياسين خير الله العمري: غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، مطبعة البصرى، ١٩٦٨م.

[٣٣] عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية في بلاد الشام والجزيرة. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ١٩٧٥م.

[٣٤] عكام محمود: الموسوعة الإسلامية الميسرة دمشق، دار صحارى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

[٣٥] فايز حماد عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، العصر الفاطمي والسلجوقي والزنكي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

[٣٦] فوشييه الشارتري: الحملة إلى القدس(١٠٩٥ -١١٢٧م)، ترجمة زياد العسلي الطبعة الأولى، دار الشروق، عمان، ١٩٩٠م.

[٣٧] كامل الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، دار العلم، حلب، ط٢، ١٤١٩ه.

[٣٨] مصطفى شاكر: تاريخ الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

[٣٩] هانس إبراهاردماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم، نشر دار المدى٢٠٠٩م.

[٤٠] وليد الأعظمي: أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، مكتبة الرقيم، بغداد ٢٠٠١م، ص ٤٩.

[٤١] وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور حسين حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.

[٤٢] ستيفن رينسمان: تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية السيد الباز العريني، بيروت، ١٩٦٧م.

[٤٣] موسوعة الفرق، الباب الثامن، الشيعة، الفصل الثاني والعشرون.

[٤٤] موسوعة التراجم والأعلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١ ، ١٩٨٣

[45] 44.Alistar .E Mac Gvoth ، An introduction to Christianity ، 2nd Edition ، 2004 .

[46] 45.charl Galway : west Asia and north Africa ، London ، 1994.

[47] 46. Estelle Jane Whelen : the public of Figure political Conography in Medival Mesophotamia ، London melesde ، 2006 .

[48] 47. Tonghini Cristina ، Qala ، t Jabar Pottery A study of Asyrian Fortied Site of the late 11th- 14th Centuries ، with Contributions by Hj Franken ، Hj de Haas ، j. kalsbeek and Azaqzuq ، Oxford ، 1948.

[49] 48.Gabriel ، Francesco: Arab Historians of the Crusades ، university of California ، Press 1969.

[50] 49.Michal: le Syrian Chronique ، volume ، 1.French Edition ، 2008 .

[51] 50.Stevenson: the Crusaders in the Easst ، London ، 1968.

[52] 51.Templars ، Crusader States ، Kings of Jerusalem and Cyprus ، 1934.

[53] 52.Walter: The Chancellor ، bella ، Anliochena in R.H.C Vol.V.

53.Nicol ، DonLd M.Byzantium and Venice : A study in Diplomatic an Cultural Relations ، Cambridge university press 1992.

The Battle of the Field of Blood 513 AH/1119 AD

Dr Ali M. Alneghaimshi

Department of History Assistant Professor of Medieval History
Qassim University, KSA College of Arabic and Social Studies

Abstract: The Battle of the Field of Blood or Sarmada, in which Muslims defeated the Crusaders in 513 AH / 1119 AD, was one of the significant historical battles as it came after the Crusaders invaded the Sham and established four Crusader emirates: Al-Raha and Tripoli, Bayt Al-Maqdis and Antioch. The Muslim front was in its weakest status due to rupture and conflicts among Muslim leaders, which consequently led to weary determination and firmness. In this material and moral collapse, Najm ad-Din Ilghazi ibn Artuq, ruler of Aleppo could unify the word of the Muslims and annihilate Roger of Salerno's Crusader army of the Principality of Antioch, who fell dead in the field of the battle. Few knights could escape. The massacre led to the name of the battle, given by the Europeans, "the field of blood". The balance has shifted and the Muslims regained self-confidence; it gave them lessons in solidarity and unification, and broke the barrier of fear made by the Crusaders. It was an important step towards the Islamic victories and the liberation of Jerusalem from the hands of the Crusaders thereafter.

key words: the Field of Blood – Sarmada - the Crusaders - Najm ad-Din Ilghazi – Antioch.